Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ذنوب وآثام ويبرىء المرضى ويطرد الجن ممن به مس منها، ويؤلف بين الحيوانات وبين الناس ويوجد المعدوم ويحول المر إلى طعام لذيذ... أبو يعزى خلاصة للمصطفين الأخيار.

4 ـ بين التمثيل والواقع:

القارىء لكرامات أبي يعزى ومناقبه يلاحظ امتزاج الواقعي بالخيالي، **وهذا الامتزاج هو الذي يعزز أهدافها التمثيلية والتعليمية والاعتبارية ويجعل دلالاتها ومقاصدها ليست خاصة بزمن أبي يعزى.** وكانت وسيلة التمثيل الأساسية هي الحيوان: حيوانات الشيخ وحيوانات السلطة؛ والحيوانات لها تاريخ طويل مع الأنبياء والرسل والصديقين؛ فالأسد تلحسها وتبصبص إليها وتشمها وتتحدث إليها، وأولئك يصرفونها في أمورهم المختلفة، كما يصرفون باقي الحيوانات الأخرى[36].

على أن الحيوانات يغلب عليها الإيحاء السلبي مهما كانت رتبتها في مملكة الحيوان، لأن علاقاتها يحكمها قانون الغاب، ولكن الإيحاء السلبي يختلف من حيث الدرجة تبعاً لسياق التوظيف وأهدافه؛ على أن كرامات الشيخ حققت التوازن بين حيوانات القوتين: السلطة/الرعية، **أو ما أراد العزفي أن يحققه. فهذه الشخصية التي جمعت الكرامات وانتقت رواتها هي شخصية فقيه تحاول أن تجمع بين الثقافة السنية ذات الولاء للخلفاء والأمراء والحكام، ولكنها في نفس الوقت تنفتح على ثقافة ذات بنية خاصة لها دورها الفعال لدى السواد الأعظم من ساكنة المغارب والأندلس حينئذ.** وهذا ما عبرت عنه مقدمة المحقق؛ يقول: «نرى في مشروع العزفي من خلال هذا الكتاب ومن خلال برنامجه فيه محاولة تجاوز للأزمة، أزمة الدولة الموحدية المختنقة بنكسة الجهاد على الساحة الإيبيرية بعد عام 609 هـ وأزمة الثقافة الرسمية المواكبة لها في ارتباط مع عقيدة المهدي. ولم يأت رد الفعل في صيغة نقد عقلاني بل جاء في صورة إعلاء نموذج روحاني متمثل في أبي يعزى الأمي الأعجمي الظاهري الذي تتلمذ له الناس في مختلف الآفاق والطبقات من سبتة إلى أقاصي سوس»[37]. فالثقافة الرسمية عجزت، حينئذ، عن تعبئة الناس للجهاد وتخفيف مشاق الحياة عليهم من مرض ومجاعة وأوبئة وتطاحنات اقتصادية وعرقية، وعجزت عن إشباع خيالهم المتوثب الراغب في الخوارق وحكايات سير الأنبياء والصالحين، كما

(36) سهير القلماوي، ألف ليلة وليلة دار المعارف، مصر، 1966.

(37) مقدمة المحقق، ص: 9.